IUGJHR
Vol 26, No 2, 2018, pp 102-124

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الانسانية

تاريخ الإرسال (2017-09-16)، تاريخ قبول النشر (2017-11-01)

الأب في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي

أ.د. عبدالخالق العف [1,*]

أ. أحمد سلمان مهنا [1]

[1] قسم اللغة العربية - كلية الأداب- الجامعة الإسلامية بغزة.

[*] البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: aelaff@iugaza.edu.ps

الملخص:

هذا بحث تتبعت فيه مكانة الأب وصورته في شعر المرأة العربية في العصرين الجاهلي والإسلامي، ويتكون من مبحثين هما :

1- مكانة الأب عند ابنته بشكل عام ، وفيه تتبعت مكانته عند ابنته ، من حبها له وخوفها عليه .

2- صورة الأب في شعر ابنته، وفيه تتبعت الصورة التي رسمتها البنت لأبيها، سواء المعنوية أو الحسية. ثم ختمت البحث بالنتائج والتوصيات.

كلمات مفتاحية:

الأب – البنت – الصفات المعنوية – الصفات الحسية.

The father in Feminist poetry in Ancient Arabic poetry

Abstract

This research followed the father's status and his image in the poetry of Arab women in the pre-Islamic and Islamic times. It consists of two sections:

1. the father's position at his daughter in general, and where he traced his position to his daughter, love and fear.
2. The father's image in his daughter's poetry, in which she followed the picture that the girl drew for her father, whether moral or sensual. The research concluded with conclusions and recommendations

Keywords:

father - daughter - moral qualities - sensory qualities

المقدمة:

الحمد لله وكفى، وصلى الله على عبده المصطفى، وعلى آله وصحبه الأطهار الشرفا، وعلى من سار على دربه واقتفى، وبعد ما زال شعر المرأة في العصرين الجاهلي والإسلامي مادة خصبة لم تنل حظا وافرا من الدراسة والبحث ، رغم ذلك السحر الذي يخلب الألباب ، ويأسر القلوب ، وذلك العبير الذي يفوح من جنباته ، فيحرك كوامن النفوس ، ويثير في النفس توقا إلى العودة إلى هذا الزمن الجميل ، والبحث عن كنوزه الكامنة فيه.

ومما جعلني أقبل على دراسة شعر المرأة هو ما قيل – قديما وحديثا – عن تعرضها للظلم والجور ،من قبل الرجل ، بل الحرمان من الحياة ، فكيف صورت المرأة الشاعرة الأب ؛ الذي يتهم بكل هذا .

أما البحث فقسمته إلى مبحثين : المبحث الأول يتحدث عن مكانة الأب عند المرأة العربية ، وتتبعت فيه حبها له ، وخوفها عليه ، وحاجتها إليه ...الخ .

وفي المبحث الثاني تحدثت عن صورة الأب في شعر ابنته ، وملامح هذه الصورة ، سواء المعنوية ، من صدق ، وكرم ، وشجاعة ، وحياء، وفصاحة ،وبيان ...الخ . و الحسية والتي تجسدت فيها ملامح الأب الخلقية التي ذكرتها البنت .

ثم ختمت البحث بالنتائج والتوصيات التي توصلت إليها .

منهج الدراسة :اتبعت في بحثي هذا النهج الوصفي والتاريخي ، وهذا ما يناسب الدراسة .

والله الموفق وهو يهدي السبيل .

المبحث الأول:

مكانة الأب عند ابنته

تتعلق البنت بأبيها منذ طفولتها تجد فيه حاميها و عائلها و راعيها ،فإذا ما تزوجت ظلت تحبه و تشتاقه ،و لا شك أنها كانت تؤثر أباها على زوجها "لأن روابط العاطفة في الجماعات الأولى كانت بين البنت و أبيها ، و بين الأخ و أخته أقوى منها بين الزوج و زوجته "[1] .

ومن مظاهر حبها لأبيها :

1-خوفها عليه من أن يقتل في الحرب،فتحاول أن تثنيه ؛ لأنه رجلها و ليس لها أب غيره ، يقول سلامة بن جندل :

تقــول ابنتــي إن انطلاقــك و احــد إلى الــروع يومــا تــاركي لا أباليــا

دعينا من الإشــفاق أو قــدمي لنــا مــن الحــدثان و المنيــة و اقيــا[2]

(1) الحوفي ،المرأة في الشعر الجاهلي ،(ص 305) .

(2) السابق ، (ص 306) .

كما أنها تجد وحشة في بعده عنها لذلك تحاول أن تصرفه عن السفر ، فإذا ما هم به ، و عجزت عن ثنيه لجأت إلى الدعاء له ان يؤوب سالما :

تقــول بنتــي وقــد قربــت مــرتحلا يا رب جنــب أبــي الأوصــاب و الوجعــا [1]

و يقول :

تقــول ابنتــي حــين جــد الرحيــل أرانــا ســواء و مــن قــد يــتم

أبانــا فــلا رمــت مــن عنــدنا فإنــا بخيــر إذا لــم تــرم

ويــا ابتــا لا تــزل مــن عنــدنا فإنــا نخــاف بــأن تختــرم

أرانــا إذا أضــمرتك الــبلا د نجفــي و تقطــع منــا الــرّحم [2]

يصور عواطف ابنته ، من حبها له و شفقتها عليه ،و شعورها بآلام اليتم في بعاده ، وإيثارها لقربه ،و أنها تقنع من كل شيء ،و ترضى به ما دام أبوها بجوارها ، وهي تتوجس أن يصيبه مكروه في رحلته، و لا طاقة لها باحتمال ، فقده و لن تجد بعده عطوفا أو معينا ،لأنها على ثقة بأن الناس سيجفونها ،و الأقارب سيهجرونها [3].

و ظلت عاطفة البنوة إلى ما بعد العصر الجاهلي ، وظلت البنت تبكي بعاد أبيها ، فحين خرج مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان تعلقت به ابنته و بكت و قالت أخشى أن يطول سفرك ، أو يحول الموت بيننا ، فلا نلتقي، فأنشأ يقول :

و لقــد قلــت لابنتــي و هــي تبكــي بــد خيــل الهمــوم قلبــا كئيبــا

و هي تذري من الــدموع علــى الخــد يــن مــن لوعــة الفــراق غروبــا

عبــرات يكــدن يجــرحن مــا جــز ن بــه أو يــدعن فيــه نــدوبا

حــذر الحتــف ان يصــيب أباهــا و يلاقــي فــي غيــر أهــل شــعوبا

اســكتي قــد حززتــي بالــدمع قلبــي طالمــا حــز دمعكــن القلوبــا

فعســى الله أن يــدافع عنــي ريــب مــا تحــذرين حتــى اؤوبــا [4]

و إذا ما فجعها الدهر في أبيها حزنت حتى يمضها الحزن ، وبكت حتى يحرقها البكاء ،فشقت جيبها ، وقمشت ووجهها ، وحلقت شعرها ، يقول لبيد :

(1) القرشي ،جمهرة أشعار العرب ،(ص 18) ، البغدادي ، خزانة الآدب ،(ج2 /296) .

(2) ابن عبد ربه العقد الفريد ،(ج1/343).

(3) ينظر الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، (ص 306– ص307) .

(4)ابن الريب، الديوان(ص69–ص70). الأصفهاني ، الأغاني ، (ج317/22) . الغروب : جمع الغرب ؛ وهي الدلو العظيمة .

تمنـــى ابنتـــاي أن يعـــيش أبوهمـــا و هـــــل أنـــــا إلا مـــــن ربيعـــــة أو مضـــــر

فقومـــا فقـــولا بالـــذي تعلمانـــه ولا تخمشـــا و جهـــا ولا تحلقـــا الشـــعر [1]

ويتوقع أبو ذؤيب الهذلي ما تفعل بناته بعد موته من ضرب صدورهن بالنعال ، فيقول :

و قـــــام بنـــــاتي بالنعـــــال حواســـــرا و ألصقن وقـــع الســـبت تحـــت القلائـــد [2]

ويقول عبد مناف بن ربع الهذلي :

إذا تـــأوب نـــوح قامتـــا معـــه ضربا أليمـــا بســـبت يعلـــج الجلـــدا [3]

" و الآباء في كل عصر على يقين من فجيعة بناتهم فيهم ، و بكائهن إياهم " يقول أبو فراس الحمداني قبيل وفاته مخاطبا ابنته:

ابنتـــــــــي لا تجزعـــــــــي كـــــل الأنـــــام إلـــــى ذهـــــاب

نـــــوحي علـــــي بحســـــرة مـــن خلـــف ســـترك و الحجـــاب [4]

أما إذا قتل أبوها فإنها تهب تشعل الحفيظة في صدور أوليائه ، ليثأروا له فيشفوا بعض ما تجد من الحزن و لوعة الأسى ،فقد حمست أمامة بنت كليب عمها المهلهل ليثأر له. يقول المهلهل :

تســـائلني أمامـــة عـــن أبيهـــا ومـــا تـــدري أمامـــة عـــن ضـــميري

فـــلا و أبـــي أمامـــة مـــا أبوهـــا مـــن الـــنعم المؤبـــل و الجـــذور [5]

ثم أنها ترثيه فتصور فجيعتها فيه ،و تعدد مناقبه ، و تشيد بمفاخره ،ومن أمثلة ذلك أن هند بنت عتبة ترثي أباها يوم بدر بأن هلك أبيها لامثيل له ، وأن الفجيعة التي نزلت بها تنسي المفجوعات فجيعتهن ،و تستدر دموعهن ، مواساة لها ، و أنها كانت تخشى هذا اليوم من قبل ، ثم نزل بها ما خشيت ، فطار عقلها وعزب رشدها [6]، تقول :

(1) ابن عبدربه ، العقد الفريد ،(ج377/2).

(2) الجاحظ ، البيان والتبيين ،(ج75/3).

(3) المبرد ، الكامل ، (ج46/4).

(4) شيخو، مجاني الأدب في حدائق العرب ،(ج302/6).

(5) ينظر الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، (ص309- ص310).

(6) السابق ، ص310 .

لله عينـــــا مـــــن رأى هلكـــــا كهلـــــك رجاليـــــة
يـــا رب بـــاك لـــي غـــدا فـــي النائبـــات و باكيـــة
قـــد كنـــت أحـــذر مـــا أرى فـــاليوم حـــق حذاريـــة
قـــد كنـــت أحـــذر مـــا أرى فأتـــا الغـــداة مواميـــة
يـــا رب قائلـــة غـــدا يـــا ويـــح أم معاويـــة [1]

والمرأة يسرها أن يشبه ابنها أباها، قد تتسامى بمجد أبيها فترى من العسير على ابنها اللحاق به ، تقول منفوسة بنت زيد الفوارس و هي ترقص ابنها حكيم بن قيس بن عاصم :

أشـــبه أخـــي أو أشـــبهن أباكـــا أمـــا أبـــي فلـــن تنـــال ذاكـــا
تقصر أن تنالـــه يـــداكا [2]

المبحث الثاني:

صور الأب في شعر ابنته

أولا: الصفات المعنوية :

1- الشجاعة والإقدام :

لطالما تغنت البنت بشجاعة أبيها و فروسيته و إقدامه ، " فالفارس الشجاع يحتل في قلوب أبناء قبيلته ، و خاصة النساء مكانة سامية ؛ لأنه لا يتوانى عن تلبية استغاثاتهم الملهوفة في ميادين الوغى ، فيدافع عنهم و ينقذهم و يحميهم من كل أذى ؛ ليبرهن بذلك على شجاعة إنسانية نبيلة " [3]

تقول سليمى بنت المهلهل :

أعينـــيّ جـــودا بالـــدموع الســـوافح على فارس الفرســـان فـــي كـــل صـــافح
ألا تبكيان المرتجى عنـــد كـــل مشـــهد يثيـــر مـــع الفرســـان نقـــع الأبـــاطح
عديا أخا المعـــروف فـــي كـــل شـــتوة و فارســـها المرهـــوب عنـــد التكـــافح[4]

(1) السيوطي ، شرح شواهد المغني ، (ج411/1).
(2) يموت ، شاعرات العرب ، (ص55) .
(3) الخطيب ، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ، (ص84).
(4) يموت، شاعرات العرب ، (ص39) . وعبدالرحمن ، ديوان شعر الأيام ، (ص188).

فالشاعرة تبكي بحرقة على و الدها ، فهو فارس الفرسان في كل مشهد من مشاهد الحرب ، وهو في المقدمة حين تستعر الحرب ، و يشتد أوارها ،و يرتفع غبارها ، و تبلغ القلوب الحناجر، و تضيق الأرض بما رحبت ، فيلوذ الناس به ، فمن مثله يحمي الديار ،و يرهب الأعداء .

و في موضع أخر تقول :

لمـــا ســـمعت بنعـــي فـــارس تغلـــب أعنـــــي مهلهـــــل قاتـــــل الأقـــــران

المرتجـــى عنـــد الشـــدائد إن غـــدا دهـــــر حـــــرون معضـــــل الحـــــدثان

و المســـتغيث بـــه العبـــاد ومـــن بـــه يحمـــــى الـــــذمار و جـــــورة الجيـــــران

عليـــــه إن توســـــط معضـــــل حصـــــن العشـــيرة ضـــارب بجـــران (1)

و ترى ابنة قيس بن جابر أن أباها فارس قومه، الذي يذود عنهم ، و يحمي ديارهم ، وينهض بعظيمات الأمور في وقت الشدائد ، و هذا ما لا يخفى على أحد ؛ لذلك فإن فقده أطال ليلها وأشاب رأسها ، وتقول :

تطـــاول ليلـــي للهمـــوم الحواضـــر و شـــيب رأســـي يـــوم قـــيس بـــن جـــابر

فـــإن تكـــن الأحـــداث أودت بفـــارس عظـــيم المســـاعي فـــي الســـنين الغـــوابر

فقـــد علمـــت أحيـــاء زيـــد و كاهـــل و عمـــــرو وودان قبيـــــل الغواضـــــر

بـــأن أبـــي قـــد كـــان فـــارس قومـــه بـــه تتقـــي حـــد الرمـــاح الشـــواجر (2)

و هو فارس الفرسان و ليس مثله أحد في ركوب الخيل الأصيلة، تقول ابنة مالك بن بدر:

لله عينـــــا مـــــن رأى مثـــــل مالـــــك عقيـــــرة قـــــوم إن جـــــرى فرســـــان

إذا ســـــجعت بـــــالرقمتين حمامـــــة أو الـــــرس تبكـــــي فـــــارس الكتفـــــان (3)

و تقف الحمراء بنت ضمرة مزهوة بأبيها ، مفتخرة بنسبها ، و هي في أشد الظروف و أحلكها ، غير مبالية بالموت حرقا ، فحين سألها عمرو بن هند قائلا :أأنت أعجمية ؟ قالت :ما أنا بعجمية ولا ولدني الأعاجم ، ثم أنشأت تقول :

إنـــي بنـــت ضـــمرة بـــن جـــابر ســـاد معـــدا كـــابرا عـــن كـــابر(4)

(1) يموت، شاعرات العرب ، (ص40) . وعبدالرحمن ، ديوان شعر الأيام ، (ص189).

(2) ماردیني ، شواعر الجاهلية ، (ص207) . الغواضر : قوم بني غاضرة . الشواجر : الرماح المتداخلة .

(3) السابق ، ص207– ص208 . وعبدالرحمن ، ديوان شعر الأيام (ص 358).

(4) ماردیني ، شواعر الجاهلية ، (ص246).

فأغضب قولها عمراً فأمر أن تلقى في النار وذلك يوم أوارة فالشاعرة ترى أن أباها سيد معد كلها، أي سيد العرب ، ولا ترى كفؤا له ، لذلك تجاهر بالفخر به و الانتساب إليه .

أما دختنوس بنت لقيط فترى أن والدها خير خندق كلها ، فهو أشدها على العدو، و أفكها للرقاب ، وهو قائدهم في الملمات ، و فارسهم الذي يطأ مواطن الأعداء ، فيفرون منه فرار الطير عن أربابها ، تقول :

بكـــــر النعـــــي بخيـــــر خنـــــذ دف كهلهـــــــــا و شـــــــــبابها

و أضـــــــــــرها لعـــــــــــدوها و أفكهـــــــــــا لرقابهـــــــــــا

و قريعهـــــــــا و نجيبهـــــــــا فـــــــي المطبقـــــــات و نابهـــــــا

ورئيســـــــها عنـــــــد الملـــــــو ك و زيـــــــن يـــــــوم خطابهـــــــا

و أتمهـــــــــا نســـــــــبا إذا رجعـــــــت إلـــــــى أنســـــــابها

مرعـــــــى عمـــــــودا للعشـــــــي رة رافعـــــــــا لنصـــــــــابها

و يطـــــــا مـــــــواطن للعـــــــدو و كـــــــان لا يمشـــــــي بهـــــــا

فعـــــل المـــــدل مـــــن الأســـــو د لحينهـــــــــا و تبابهـــــــــا

فـــــرت بنـــــو أســـــد فـــــرا ر الطيـــــر مـــــن أربابهـــــا [1]

لقد أجملت الشاعرة في البيت الأول ، حين قالت خير خندف ، ما لانسان لا يكون خير قومه ، إلا إذا كان أشجعهم و أكرمهم ، و أحسنهم نسبا ، و أعلاهم شرفا و سؤددا ، حتى يغدو عمود العشيرة الذي ترتكز عليه .

لقد أجادت الشاعرة في إبراز هذه الصورة الاجتماعية بألفاظ قليلة ، ذات معان عدة متلاحقة ، فأبوها من خير الناس ، و هذه الصورة صورة معنوية فريدة و بارعة فقد ركزت الشاعرة على صفة النسب و الشرف ، لأن الانسان عندما يفخر بنسبه و أصالته ، فهو يفخر به من طريق أبيه ، ففيه يصل إلى شرف القبيلة و بدونه ينقطع نسبه و يفقد شرفه ؛ لذلك نجد الشاعرة تفصل في شرف أبيها ، فهو يشرب بكأس الملوك و سادة القوم.

وهذا الشرف يكون في ذروته عندما يكون المرء شجاعا ؛ لذلك ذكرت الشاعرة أن أباها لشجاعته يمشي منفردا في الصحراء ، و في مواطن لا يطؤها إلا الأبطال الشجعان لتعقب الأعداء، و الأخذ بالثأر منهم ، و هذا فعل الأسد الشجاع الذي يعود عليه إقدامه بالهلاك و ملاقاة المنية [2].

(1) مارديني ، شواعر الجاهلية ، (ص251– ص252). القريع : السيد المختار. المطبقات : الشدائد والسنون المجدبة .ناب القوم : رئيسهم . ذب عن الأمر : دافع عنه . المدل : الواثق من نفسه . الحين : الهلاك . التباب: الفساد والهلاك .

(2) ينظر الخطيب ، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ،(ص93).

وتقول آمنة بنت عتيبة بن الحارث أن والدها فارس شجاع لا يهاب الحرب ولا يخشاها ، حازم الرأي ، وعلى مثله من الرجال يحق للنساء أن يشققن الجيوب ، ويلطمن الخدود ، ويخمشن الوجوه ، وهذا من عادات الجاهلية ، تقول :

علـــى مثـــل ابـــن ميّـــة فانعيـــاه تشـــــقّ نـــــواعم البشـــــر الجيوبـــــا

وكـــــان أبـــــي عتيبـــــة شـــمّريّا ولا تلقـــــــــاه يـــــــــدخر النصـــــــــيبا

ضـــــروبا باليـــــدين أذا اشـــــمعلّت عـــــوان الحـــــرب لا ورعـــــا هيوبـــــا (1)

وتصف أم حكيم البيضاء والدها بالليث في بأسه و شدته ، و إقدامه في أوقات الشدة ، فهو المرتجى في الملمات ، إليه يفزع الناس ، و به يحتمون :

و ليثـــا حـــين تشـــتجر العـــوالي تـــــروق لـــــه عيـــــون النـــــاظرات

عقيـــل بـــن كنانـــة و المرجـــى إذا مـــــا الـــــدهر أقبـــــل بالهنـــــات

و مفزعهـــا إذا مـــا هـــاج هـــيج بداهيـــــة و خصـــــم المعضـــــلات (2)

والأب شديد في الحرب، حاد كالسيف ، وفي المخاصمة يكون له فصل الخطاب ، يفحم الخصوم ويغلبهم ، تقول عاتكة بنت عبد المطلب :

و ســـتيفخر لـعدرة إلخـــرريد صنمطصـــلقة بأبيها الذي وقتلـــ يودي حاليخاصـــ تعيرعنبني الثيم للذين (3) لم يحفظوا الجميل و قابلوه بالعقوق

لعمـــرك مـــا خشـــيت علـــى دريـــد بـــــبطن ســـــميرة جـــــيش العنـــــاق

جـــزى عنـــا الإلـــه بنـــي ســـليم بمـــــا فعلـــــوا وعقـــــتهم عقـــــاق

و أســـــــقانا إذا قـــــــدنا إلـــــــيهم دمـــــاء خيـــــارهم عنـــــد التلاقـــــي

فـــــرب كريمـــــة أعتقـــــت مـــــنهم وأخـــــرى قـــــد فككـــــت مـــــن الوثـــــاق

ورب منـــــوه بـــــك مـــــن ســـــليم دعـــــاك فقـــــد أجبـــــت بـــــلا رمـــــاق

ورب عظيمـــــة دافعـــــت عـــــنهم وقـــــد بلغـــــت نفوســـــهم التراقـــــي

فكـــــان جزاؤنـــــا مـــــنهم عقوقـــــا وهمـــــا مـــــاع منـــــه مـــــخ ســـــاقي (4)

(1) عبد الرحمن ، ديوان شعر الأيام ، (ص294).

(2) يموت ، شاعرات العرب ، (ص119).

(3) السابق ، ص 115.

(4) ابن طيفور ، بلاغات النساء ، (ص 179).

2- الكرم :

حرصت المرأة الشاعرة على إبراز صفة الكرم و الفخر بها ، و خاصة أن العربي يحرص على إكرام الضيف ، و اغاثة الملهوف ، و فك العاني ، و اطعام الجائع ، لذلك نجد مثل هذه الصفات حاضرة في شعر النساء ، تقول سلمى في رثائها لأبيها المهلهل :

عديا أخا المعروف في كل شتوة و فارسها المرهوب عند التكافح

رمته بنات الدهر حتى انتظمنه بسهم المنايا إنها شر رابح

وقد كان يكفي كل وغد مواكل و يحفظ أسرار الحليل المناصح [1]

إن والد الشاعرة كريم ، في أوقات يكون فيها الكرم عزيزا ، فالعرب تفتخر بالإطعام في وقت الشتاء ، حيث الجدب و صعوبة العيش ، و ضيق الرزق (فالشتوة) التي ذكرتها الشاعرة تعني المجاعة ؛ لأن الشتاء يكون سببا في يبوسة العشب و جفاف الضرع [2]، فالشمال رياح باردة يندر معها الطعام ويشح ، و يغدو الأصحاء ضعافا ، ويغلب الهزال على النعم ، وفي هذا الوضع القاسي يتجلى كرم الوالد الذي يقدم كرمه لكل هؤلاء الناس وهم في تلك الحالة البائسة ، فهو جواد إلى درجة الإيثار ، يترك بموته فراغا هائلا ، و لوعة مريرة [3].

و تستمر الشاعرة في تعداد القيم الخلقية لأبيها و تذكر نوعا آخر من الكرم يتجاوز الضيافة و الإطعام وهو فك الأسرى و العانين ، حيث عد العرب هذه الصفة من مراتب الكرم الكبيرة :

كأن لم يكن في الحي حيا ولم يرح إليه عفاة الناس أو كل رائح

و لم يدعه في النكب كل مكبل لفكّ إسار أو دعا عند صالح

بكيتك إن ينفع وما كنت بالتي ستسلوك يا ابن الأكرمين الجحاجح [4]

" تريد أن المنايا قد أصابته و كأنها لم تعرف قدره ، فهو بين قومه حي كبير لعظم منزلته بينهم ، و الناس و الضيوف و المحتاجون يقصدونه عند المساء ، فالشاعرة في وثيقتها هذه تستعمل أسلوبا جاهليا في الرثاء وهو معاتبة القدر" [5] .

و بمثل هذه القيم مدحت عمرة بنت دريد والدها حين قالت :

(1) يموت ، شاعرات العرب ، (ص 56) .

(2) ينظر اليوسف ، مقالات في الشعر الجاهلي ، (ص 356).

(3) ينظر الخطيب ، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ، (64- ص65).

(4) يموت ، شاعرات العرب ، (ص56). الجحاجح : مفردها جحجاح وهو السيد السمح الكريم .

(5) عبد ، مراثي النساء في عصري ما قبل الإسلام وصدر الإسلام ، (ص55).

فـــرب كريمـــة أعتقـــت مـــنهم و أخـــرى قـــد فككـــت مـــن الوثـــاق

ورب منـــوه بـــك مـــن ســـليم دعـــاك فقـــد أجبـــت بـــلا رمـــاق [1]

و تحرص دختنوس بنت لقيط على إبراز هذه الصفة ، و هي تعدد مآثر أبيها فتقول :

و بخيرهـــــــا نســـــــبا إذا عـــــدت إلـــــى أنســـــابها

و أضـــــــرها لعـــــــدوها و أفكهـــــــا لرقابهـــــــا

و يعولهـــــــا و يحوطهـــــــا و يـــــذب عـــــن أحســـــابها [2]

و أما هند بنت عتبة فإنها تصف والدها في كرمه بالجبل الخصب الذي لا يجوع ساكنه :

و كـــان لنـــا جـــبلا راســـيا جميـــل المـــراح كثيـــر العشـــب[3]

فهو كريم سمح الخليقة ، حسن العشرة ، و يتجلى كرمه في الشدائد و حين يشتد القحط بالناس :

يطعـــم يـــوم المســـغبة يـــدفع يـــوم المغلبـــة [4]

مـــن كـــل غيـــث فـــي الســـنين إذا الكواكـــب خاويـــة [5]

و تقول : ووالد أروى بنت عبد المطلب كريم جواد ، مكرم لأسرته ، مبرز بين أهله و عشيرته ، تقول واصفة والدها :

طويـــل البـــاع أبـــيض شـــيظمي أغـــرّ كـــأن غرتـــه ضـــياء

و كـــأن هـــو الفتـــى كرمـــا وجـــودا و بأســـا حـــين تنســـكب الـــدماء [6]

مـــا زال أبـــيض مكرامـــا لأســـرته رحب المحاسن في خصـب و فـــي لـــين[7]

[8]

(1) ابن طيفور ، بلاغات النساء ، (179).

(2) ماريني ، شواعر الجاهلية ، (ص 251). ويموت ، شاعرات العرب ، (ص51).

(3) يموت، شاعرات العرب ، (ص 128). المراح المكان الذي تبيت فيه الإبل .

(4) السابق ، ص 128 .

(5) نفسه ، ص 129.

(6) نفسه ، ص 120. الشيظمي : طويل الجسم من الفتيان .

(7) نفسه ، ص 120 .

(8) نفسه ، ص 120 .

و تقول : و تصف أم حكيم البيضاء والدها بالغيث في سخائه و عطائه و كرمه ،و ذلك حين تشتد السنون ، و يعم المحل والجدب و يعز البذل :

ألا يـــا عـــين جـــودي و اســـتهلي و بكـــــي ذا النـــــدى و المكرمـــــات

طويـــل البـــاع شـــيبة ذا المعـــالي كـــــريم الخـــــيم محمـــــود الهبـــــات

وصـــــولا للقرابـــــة هبرزيـــــا و غيثـــا فـــي الســـنين الممحـــلات (1)

وهو مع كرمه وسخائه في الشدائد ، و صلته لأرحامه ، فإنه لا ينفق إلا من المال الحلال ، حيث لا يدخل الخبث ماله

المـــــال و المجـــــد التليـــــد فضـــــول صـــــون و ابتـــــذال

العـــــز والـــــزاد الكثـــــي ر و إنســـــها كمهـــــا الرجـــــال

التـــــارك المـــــال الخبـــــي ث و بـــــاذل الكســـــب الحـــــلال (2)

أما أميمة بنت عبد المطلب فتمدح والده مدحا مغلفا بطابع ديني ، فهو من يكرم ضيوف بيت الله الحرام ،وهذا لا يتأتى إلا للسادة الكرام ، الذين يعدلون أقواما في علو همتهم ، وعظيم عطائهم ، ثم تصفه وصفا آخر وهو الكرم الدائم ، الذي لا ينقطع على مدار العام ، فبيته مشرع الأبواب للغرباء وذوي الحاجات في الشدائد والكربات ،فكرم والدها يتجلى حين يعز المطر ، وتمحل الأرض ، وتجف المراعي ، ويعم القحط ، ويقل المال .تقول :

ألا هلك الراعـــي العشـــيرة ذو الفقـــد و ســـاقي الحجـــيج و المحـــامي عـــن المجـــد

ومن يألف الضـــيف الغريـــب بيوتـــه إذا مـــا ســـماء النـــاس تبخـــل بالرعـــد

كسبت وليدا خير مـــا يكســـب الفتـــى فلـــم تنفـــك تـــزداد يـــا شـــيبة الحمـــد

فقـــد كـــان زينـــا للعشـــيرة كلهـــا و كـــان حميـــدا حيثمـــا كـــان مـــن حمـــد (3)

لقد حاز والدها الحمد والمجد و أصبح قبلة للضعفاء و المساكين و الغرباء يألفون بيته و يغشونه ليل نهار ، لذلك حق له أن يسود قومه صغيرا و يرعاهم كبيرا حتى زانهم و فاتهم بكرمه و جوده و كرمه و عطائه ولو كان أحد مخلداً لمجده وعطائه لخلد لكن لا سبيل لذلك ، تقول صفية ابنته مبررة بكائها عليه :

أرقـــت لصـــوت نائحـــة بليـــل علـــى رجـــل بقارعـــة الصـــعيد

ففاضـــت عنـــد ذلكـــم دمـــوعي علـــى خـــدي كمنحـــدر الفريـــد

(1) انفسه ، ص 118– ص 119 . الهبرزي : الجلد النافذ ، وتعني الأسد أيضا .

(2) يموت ، شاعرات العرب ، (ص128).

(3) السابق ، ص 118 .

على رجل كريم غير و غل له الفضل المبين على العبيد
على الفياض شيبة ذي المعالي أبيك الخير و ارث كل جود
طويل الباع أبيض شيظمي مطاع في عشيرته حميد
رفيع البيت أبلج ذي فضول وغيث الناس في الزمن الجرود
عظيم الحلم من نفر كرام خضارمة ملاوثة أسود
فلو خلد امرؤ لقديم مجد و لكن لا سبيل إلى الخلود
لكان مخلدا أخرى الليالي لفضل المجد و الحسب التليد [1]

وتفخر خالدة بنت هاشم بن عبد مناف بكرم والدها وجوده ، وسيادته وشرفه ، فهو غياث الناس في شدتهم ، ومطرهم في جدبهم ، وهو ملاذهم في كل أمر ألم بهم . تقول :

عين جودي بعبرة وسجوم واسفحي الدمع للجواد الكريم
عين واستعبري وسحي وحمي لأبيك المسود المعلوم
هاشم الخير ذي الجلالة والحم د وذي الباع والندى المعلوم
وربيع للمجتدين ومزن ولزاز لكل أمر جسيم [2]

وتطلب أروى بنت الحباب من الأرامل و الأيتام أن يبكوا الرجل الذي يغيثهم و يقضي حاجاتهم فهو الكريم الجواد :

قل للأرامل و اليتامى قد ثوى فلتبك أعينها لفقد حباب
أودى ابن كل مخاطر بتلاده و لنفسه بقيا على الأحساب
الراكبين من الأمور صدورها لا يركبون معاقد الأذناب [3]

وتقول ناجية بنت ضمضم أن و الدها هو الذي يهب المال في وقت تحل الدواهي و المصائب ، وحين يشتد البرد، و يقل المطر، و يكثر القحط، و هو في هذه الظروف القاسية مأوى الأرامل و الأيتام ، تقول :

الواهب المال التلاد لنا و يكفينا العظيمة
ويكون مدرهنا إذا نزلت مجلحة ذميمة

(1) يموت ، شاعرات العرب ، (ص116).
(2) السابق ، ص 113 .
(3) نفسه ، ص 105 .

و احمـــــرّ آفـــــاق الســـــماء ولـــــم تقـــــع فـــــي الأرض ديمـــــة

وتعـــــذر الآكـــــال حتـــــى كـــــان أحمـــــدها الهشـــــيمة

لا ثلـــــــة ترعـــــــى و لا إبـــــل ولا بقـــــر مســـــيمة

ألفيتـــــه مـــــأوى الأرامـــــل والمدفّعـــــة اليتيمـــــة (1)

ومثله قول بنت أبي الجدعاء في أبيها:

ليبك أبـــي الجـــدعاء ضـــيف معيّـــل وأرملـــة تغشـــى النـــديّ فترمـــل (2)

ومن للضيف للفقير للأرملة ولغيرهم ممن أعوزهم الأمر وأشتدت بهم الحاجة ليس لهم إلا والدها و لذلك هم أحق من يبكي عليه.

ومن كرم الوالد تحقيق التكافل الاجتماعي و القضاء على الطبقية في المجتمع فلا غني و لا فقير، و تقول الخزنق بنت خفان في والدها و قومها :

لا يبعـــدن قـــومي اللـــذين هـــم ســـم العـــداة و آفـــة الجـــزر

و الخـــالطين نحيـــتهم بنضـــيرهم و ذوي الغنـــى مـــنهم بـــذي الفقـــر (3)

وتكني الشماء بنت الكميت التغلبية عن كرم والدها ، بأن الأضياف كثر ليلا ونهارا ، حتى ألفهم الكلب ، فلم يعد ينبح على طارق بسحر، وتبالغ في مدحه بالكرم حين ذكرت أنه يفك العاني الأسير ويفتديه ، وهذا كرم عظيم ، وهمة عالية ، وهو مع هذا وذاك ، لا يقبل الضيم على أي حال .تقول :

هـــل خبـــرت أيّ فتـــى كـــان أبـــي إذا الكلب لم ينـــبح مـــن الليـــل ســـاريا

فهلا فداك الموت من لـــم يضـــر لـــه عدوا ولـــم يطلـــق مـــن الكبـــل عانيـــا

إذا صـــر برديـــه حمائـــل ســـيفه أبى الضـــيم مجنيـــا عليـــه وجانيـــا (4)

3- الفصاحة و البيان :

إذا كانت الشجاعة و الإقدام ، و البذل والعطاء و السخاء ، من الخلال المستحبة في الرجل عامة، و في الأب خاصة ، فإن المرأة أعطت هذه الصفات جزءا لا يستهان به من شعرها ، فعددتها مزهوة بأبيها فخورة به ، مجاهرة بكل محاسنه ، لأن في

(1) يموت ، شاعرات العرب ، (ص 48). والجاحظ ، البيان والتبيين ،(ج162/1). والأبيات عنده منسوبة لابنة وثيمة بن عثمان .

(2) الشمشاطي ، الأنوار والمحاسن ، (15) .

(3) البصري ، الحماسة البصرية ، (ج227/1).

(4) المرزباني ، أشعار النساء ، (ص 103).

شرفه شرف لها و في طيب ذكره طيب ذكرها . إلا أنها لم تفضل الصفات الأخرى التي لطالما افتخر بها العرب و حرصوا عليها ، ومن هذه الصفات ، الفصاحة و البيان، و فضل الخطاب ، و القدرة على المحاججة ، و سرعة البديهة ، واستحضار الحجة و الدليل ، وافحام الخصم .

تقول ناجية بنت ضمضم في أبيها :

الواهـــب المـــال الـــتلاد ل نـــــا و يكفينـــــا العظيمـــــة

ويكـــــون مـــــدرهنا إذا نزلـــــت مجلّحـــــة ذميمـــــة (1)

و المدره هو لسان القوم ، و المتحدث باسمهم في الملمات الكبرى لذلك قالت: نزلت مجلحة ، و المجلّحة هي :الداهية الكبرى ، ، ولا يكون المرء لسان قومه إلا إذا كان أفصحهم قولا، و أحسنهم رأيا و أدفعهم حجة و أسرعهم بادرة ، و أجملهم نادرة ، ثم تقول:

و الـــدافع الخصـــم الألـــد إذا تفوضـــح فـــي الخصـــومة

بلســـان لقمـــان بـــن عـــاد وفضـــل خطبتـــه الحكيمـــة

ألجمـــتهم بعـــد التـــدافع و التجـــاذب فـــي الحكومـــة (2)

إن والدها في فصاحته و بيانه ، وحضور حجته ، و سرعة بديهته ، يشبه لقمان بن عاد في فصاحته و بيانه ، و لذلك يفحم خصمه ، ويثبت حقه ، و يغلب عدوه.

و تفتخر عاتكة بنت عبد المطلب بفصاحة أبيها ، و قدرته على إفحام خصومه بقولها :

و ســـيف لـــدى الحـــرب صمصـــامة و مـــردي المخاصـــم عنـــد الخصـــام (3)

ووالد دختنوس بنت لقيط سيد قومه ، ورئيس وفودهم ، و الناطق بأسمهم عند الملوك ، وما ذلك إلا لبيانه وفصاحته وقوة حجته:

وقريعهـــــــا ونجيبهـــــــا فـــــي المطبقـــــات و نابهـــــا

ورئيســـــها عنـــــد الملـــــو ك وزيـــــن يـــــوم خطابهـــــا (4)

---

(1) يموت ، شاعرات العرب ، (ص 48) .

(2) السابق ، ص 48 .

(3) نفسه ، ص 115 .

(4) ماردیني ، شواعر الجاهلية ، (ص 251) . ويموت ، شاعرات العرب ، (ص 74) .

وتفتخر أروى بنت عبد المطلب بفصاحة والدها و رجاحة عقله و سداد رأيه بقولها :

أقـــب الكشـــح أروع ذو فضـــول لـــه المجـــد المقـــدم و الســـناء

ومعقـــل مالـــك و ربيـــع فهـــد و فيصـــلها إذا الـــتمس القضـــاء

إذا هـــاب الكمـــاة المـــوت حتـــى كـــأن قلـــوب أكثـــرهم هـــواء

مضـــى قـــدما بـــذي رأي مصـــيب عليـــه حـــين تبصـــره البهـــاء[1]

فوالدها جمع بين الجود و الكرم ، والشدة و البأس ، و الفصاحة والبيان ورجاحة العقل ، وحسن التصرف والتدبير ، فهو ذو رأي مصيب فيصل في القضاء و المحاججة و دفع الخصوم .

4- الشرف السيادة وعراقة النسب :

إن الشرف و السؤدد من أهم الصفات التي حرص العربي على الفخر بها ، " لأنها من أسمى مقومات و جوده في مجتمعه ، وهذا ما وعته شواعرنا فرحن يذكرنها في مراثيهن ، و يجمعنها إلى غيرها من المناقب و المكارم كي يرسمن صورة متكاملة للمرثي في أشعارهن " [2].

تقول صفية بنت عبد المطلب في رثاء والدها قبل وفاته بطلب منه :

أرقـــت لصـــوت نائمـــة بليـــل علـــى رجـــل بقارعـــة الصـــعيد

ففاضـــت عنـــد ذلكـــم دمـــوعي علـــى خـــدي كمنحـــدر الفريـــد

علـى الفيـاض شـيبة ذي المعـالي أبيـــك الخيـــر وارث كـــل جـــود

صـدوق فـي المـواطن غيـر نكـس ولا شـــخب المقـــام ولا ســـنيد

طويـــل البـــاع أبـــيض شـــيظمي مطـــاع فـــي عشـــيرته حميـــد

رفيـــع البيـــت أبلـــج ذي فضـــول وغيـث النـاس فـي الـزمن الجـرود

كـريم الجـد لـيس بـذي و صـوم يـــروق علـــى المســـود والمســـود

عظـــيم الحلـــم مـــن نفـــر كـــرام خضـــــارمة ملاوثـــــة أســـــود

فلـــو خلـــد امـــرؤ لســـبيل مجـــد ولكـــن لا ســـبيل إلـــى الخلـــود

---

(1) يموت ، شاعرات العرب ، (ص 120) .

(2) يعقوب ومحفوظ ، الرثاء لدى شواعر العرب في العصر الأموي ، (ص 112) . النكس : المقصر عن غاية النجدة و الكرم . السنيد : الدعيّ . الجرود : الممحل شديد القحط . الوصوم من الناس : الذي ينسبه عيب .

لكـتانأحسنت الشاعرة في ذكر فضائل أبيها حيث جمعت بين الحسب و عراقة النسب، و الشرف و السيادة ، و الكرم و البذل و العطاء و الشجاعة و الاقدام و الحلم ونثرتها في الأبيات بمهارة و اتقان مع جزالة في اللفظ و سلامة في المعنى ، وبمثل هذا تذهب برة بنت عبد المطلب و تقول :

أعينـــي جـــودا بـــدمع درر	علـى ماجـد الخـيم و المعتصـر
علـى ماجـد الجـد واري الزنـاد	جميـل المحيـا عظـيم الخطـر
علـى شـيبة الحمـد ذي المكرمـات	و ذي المجـد والعـز والمفتخـر
و ذي الحلم و الفضل في النائبات	كثيـر المفـاخر جـم الفخـر
لـه فضـل مجـد علـى قومـه	منيـر يلـوح كضـوء القمـر[2]

فقد جمع والدها المفاخر كلها فهو ماجد سليل مجد وعظمة حليم كريم عزيز شريف سيد قومه و مبعث فخرهم ، ومن مثل أبيها ؟. و قد غدا زينا للعشيرة كلها ، تشرف به كما يشرف بها ، فقد كسب المكرمات كلها صغيرا ، وما زالت مكانته تعلو ، و شرفه يزداد ، حتى غدا راعيا للعشيرة و المحامي عنها . تقول أميمة بنت عبد المطلب :

ألا هلك الراعي العشيرة ذو الفقد	وساقي الحجيج والمحامي عن المجد
كسبت وليدا خير ما يكسب الفتى	فلـم تنفـك تـزداد يـا شـيبة الحمـد
أبـو الحـارث الفيـاض خلّـى مكانـه	فـلا تبعـدن إذ كـل حـي إلـى فقـد
فقـد كـان زينـا للعشـيرة كلهـا	وكـان حميـدا حيثمـا كـان مـن حمـد[3]

وتقول أم حكيم البيضاء إن والدها أورثهم مجدا، وسؤددا، وعزا ، وهو خير ما يورث الرجال :

فلـــئن هلكـــت لتـــورثن	مـــن خيـــر مـــا يـــرث الرجـــال
المـــــال والمجـــد التلـــي	د فضـــول صـــون وابتـــذال
العـــز والـــزاد الكثيـــر	وإنســـها كمهـــا الرجـــال [4]

(1) يموت ، شاعرات العرب ، (ص 115 _ ص 116) . خضارمة : كثيرو العطاء . ملاوثة : مفردها ملاث و ملوث وهو السيد الشريف . التليد : القديم .
(2) يموت ، شاعرات العرب ، (ص115) . الخيم : الطبيعة و الغريزة . المعتصر : الجود عند المسألة .
(3) السابق ، (ص118) .
(4) نفسه ، (ص119) .

و تشير أروى بنت الحارث إلى شرف والدها وشرف قومه و علو مكانته و مكانتهم :

مــن آل عبــد منــاف إن مهلكــه ولـو رأيـت رغـوب الـدهر يعصـيني

مـن الـذين متـى مـا تغـش نـاديهم تلقـى الخضـارمة الشـم العرانين (1)

و أما سليمى بنت المهلهل فترى أن والدها حاز أعلى مراتب الشرف و السيادة حين تقول :

فاذهب اليك فقد حويت من العلى يـا ابـن الأكـارم أرجـح الرجحـان (2)

فهو كريم من بيت كريم و آباء كرام أي سلسل شرف وبيت عز .

و ترثي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم والدها بقولها :

قـد رزينـا بـه محضـا خليقتـه صـافي الضـرائب و الأعـراق والنسـب (3)

فذكرت صفاء النسب و السلالة ، و خلوها من الهجنة ، و هذا تأكيد على عراقة النسب و أصالته .

- الحياء :

الحياء صفة مستحبة في الرجل ، ولكن من غير ضعف ولا جبن وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أشد حياء من الفتاة في خدرها ، و في صحيح البخاري و مسلم عن أبي سعيد الخدري ، قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها ، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه." (4)

و تقول ليلى الأخيلية في توبة :

وتوبـة تجـلـى من فتـاة حيية وفي الخدر لو تمشي إليك خفـاورها (5)

هذه الصفة نادرة في الذكر ، لأن الرجل يتصف بالبأس و الشدة ، و الشجاعة

ومن بين الشاعرات اللاتي مدحن الأب بصفة الحياء أروى بنت عبد المطلب ، حيث تقول :

بكـت عينـي وحـق لهـا البكـاء علـى سـمح سـجيته الحيـاء (6)

فالحياء صفة متأصلة في والدها ، حتى غدت سجية من سجاياه عرف بها .

(1) نفسه ، (ص121).
(2) يموت ، شاعرات العرب ، (ص 39).
(3) الحيالي ، ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام ، (ص 169).
(4) البخاري ،(6102،ج9/230) ، مسلم ، (2320).
(5) الأخيلية ، الديوان ، (ص80).
(6) يموت ، شاعرات العرب ، (ص 120).

6- الصدق في القول والفعل :

تجمع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم بين صفتين لأبيها ،واحدة شاملة لكل جميل مستحب من الصفات ، وهي (خير الخلق) ، و الثانية الصدق ، فهو الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى . تقول :

فأنــت و الله خيــر الخلــق كلهــم و أصدق النـاس حيث الصدق والكذب[1]

و تصف صفية بنت عبد المطلب والدها بالصدق في المواطن كلها فتقول :

صدوق فـي المـواطن غيـر نكـس ولا شـــخب المقـــام ولا ســـنيد[2]

وفي موضع آخر تفخر بأن آباءها صادقون إذا عاهدوا ، ولا يغدرونلأن الغدر منقصة و عار ، و هذا لا يليق بقوم جمعوا المناقب الحسان ولهم السيادة والقيادة ، و الإمارة في قريش . تقول :

وتصف خالدة بنت هاشم بن عبد مناف والدها بالصدق في كل حال ، و خصوصا في الشدة و البأس ، تقول :

صـادق البـأس فـي المـواطن شـهم ماجــد الجــد غيــر نكــس ذمــيم

غـــــالبي مشـــــمر أحـــــوذي باســق المجـد مضــرحي حلــيم[3]

لقد أكثرت شواعر الجاهلية و الإسلام من الحديث عن الأحساب والأنساب ، و الشجاعة و الإقدام ، و الفروسية و البطولة ، و الكرم و الجود ، و المآثر الطيبة ، و السيادة و القيادة ، و الحلم وحسن التدبير ، إلى غير ذلك من الصفات التي كانت مقدسة في العصور القديمة ، و التي كان العرب يحرصون عليها و يحبون أن يمتدحوا بها.

ثانيا : الصفات المادية :

لم تكثر الشاعرة العربية في العصرين الجاهلي و الإسلامي من وصف الأب وصفا حسيا ، و ذلك لما للأب من مكانة ذات جلال و هيبة ، مما جعلها تركز على الصفات المعنوية ، إلا أننا نجد بعض الملامح التي ذكرتها بعض الشواعر ، ذكرا موجزا ، و لكنه يعطي صورة عن الملامح الجسدية التي تحبذها البنت في والدها . تقول أروى بنت عبد المطلب واصفة أبيها :

طويــل البــاع أبــيض شــيظمي أغـــر كـــأن غرتـــه ضـــياء

أقــب الكشــح أروع ذو فضــول لـــه المجـــد المقـــدم و الســـناء

(1) الحيالي ، ديوان أشعار النساء ، (ص 169)

(2) يموت ، شاعرات العرب ، (ص 116) .

(3) نفسه ، ص 113.

أبـــي الضـــيم أبلـــج هبـــرزي قـــديم المجـــد لـــيس بـــه خفـــاء

وصفت الشاعرة عدة أوصاف **مضـــى قـــدما بـــذي رأي مصـــيب عليـــه حـــين تبصـــره البهـــاء** [1]

خلقية ، حيث أن والدها أبيض اللون، و صفة البياض محببة ، و يحرص عليها العرب كثيرا ، لأنها دليل على صحة النسب ، وشرف السلالة ، كما أنهم كانوا يتشاءمون من اللون الأحمر لأنه مدعاة للشكك في نسب الولد .

تقول نتيلة بنت خباب فخورة بلون ابنها :

أضـــللت أبـــيض لوذعيـــا لـــم يكـــن مجلوبـــا ولا دعيـــا

و تقول :

أضـــللت أبـــيض كالخصـــاف للفتيـــة الغـــر بنـــي منـــاف [2]

و تفخر أم حكيم بنت عبد المطلب من أم ابنها من فتية بيض البشر فتقول :

ظنـــي بـــه صـــدق و بـــر يـــــــــــأمر و يـــــــــــأتمر

مـــن فتيـــة بـــيض صـــبر يحمـــون عـــورات الـــدبر [3]

إن اللون الأحمر كان مدعاة للتشاؤم ، وسبيلا للتشكيك في النسب ، شاعر من بني عامر بن صعصعة يشكك في نسب ابنه ، فيقول لزوجته :

لا تمشـــطي رأســـي ولا تفلينـــي وحـــاذري ذا الريـــق فـــي يمينـــي

واقتربـــي دونـــك أخلفينـــا بني الجونـــا شـــأنه أحمـــر كـــالهجين

فردت عليه مفتخرة بآبائها قائلة :

إن لـــه مـــن قبلنـــا سوادا بـــيض الوجـــوه كرمـــا أنجـــادا

مـــا ضـــرهم إن حضـــروا أمجـــادا أو كـــافحوا يـــوم الـــوغى الأنـــدادا

ألا يكون لونهم سوادا[1]

(1) يموت، شاعرات العرب ، (ص120).شيظمي: طويل الجسم . أغر: أبيض . الغرة: شعر الجبهة. أقب : دقيق الخصر . الكشح : من السرة إلى المتن .أبلج : طليق الوجه . وهو بياض ما بين الحاجبين . هبرزي : كل جميل وسيم عند العرب .

(2) البلاذري ، أنساب الأشراف ، (ج52/2).

(3) البغدادي، المنمق في أخبار قريش ، (ص352).

(4) المرزباني ، أشعار النساء ، (ص246).

لذلك نجد أروى تكرر صفة البياض في البيت مرتين حين قالت (أبيض _ أغر) . ثم جعلت غرته تشع نورا و ضياء ، ثم تنتقل إلى و صف أخر ، وهو أن الأب دقيق الخصر ، جميل المحيا ، طلق الوجه ، أبلج ؛ والبلج بياض ما بين الحاجبين ، ثم تختم بأنه و سيم تناسقت صفاته فاورثته جمالا فريدا ، و نسبا أنيقا بعيدا عن الشك و الريبة .

و تجمع أميمة بنت عبد المطلب بين الجمال الخلقي و الخلقي في بيت واحد ، حيث أعطته صفة خلقية جامعة دون تفصيل لمواضع الجمال الجسدي ، وكذلك أجملت الصفة الخلقية ، دون تفصيل أيضا ، وكأنها تقول أن والدها و صل إلى درجة الكمال في كل شيئ ، و تقول :

فقـد كـان زينـا للعشـيرة كلهـا وكان حميدا حيثما كان من حمد (2)

و أما أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ، فوالدها لجماله أصبح محط إعجاب النساء ، تقول في جمع بين الشجاعة و الإقدام ، و الجمال الجسدي ، و كأنها تريد أن تخلق لوالدها صورة متكاملة :

و ليثـا حـين تشـتجر العـوالي تـروق لـه عيـون النـاظرات (3)

و تكرر أروى بنت عبد المطلب ، صفة البياض في اصرار على الجمع بين جمال الوجه و الجسد ، و شرف الأصل و عراقة النسب ، و ذلك لخلق النموذج المتكامل الذي ترجوه لوالدها ، تقول :

مـا زال أبـيض مكرامـا لأسـرته رحب المحاسن في خصب وفي لين (4)

و تصف برة بنت عبد المطلب بن هاشم والدها بأنه جميل المحيا ، فتقول :

علـى ماجـد الجـد واري الزنـاد جميـل المحيـا عظـيم الخطـر (5)

و تمزج صفية بنت عبد المطلب بين صفات والدها الخلقية و الخلقية مزجا بديعا و الهدف هو خلق نموذج فريد ، تفرد بكل حسن من الصفات ، ففاق أقرانه و تقدم على أبناء زمانه فأصبح **أهلا للسيادة و القيادة . تقول :**

طويـل البـاع أروع شـيظمي مطـاع فـي عشـيرته حميـد

رفيـع البيـت أبلـج ذي فضـول و غيـث النـاس فـي الـزمن الجـرود

(1) المرزباني ، أشعار النساء ، (ص246).
(2) يموت ، شاعرات العرب ، (ص118)
(3) السابق ص 119.
(4) نفسه ، ص120.
(5) يموت ،شاعرات العرب ، ص117.

كـريم الجـد لـيس بـذي و صـوم يـروق علـى المسـوّد و المسـود [1]

لقد وصفت والدها ببسطة الجسم ، فهو رجل طويل الجسم ، أبيض البشرة ، يفوق جميع الناس ، السادة و المسودين .

و أما خالدة بنت هاشم بن عبد مناف ، فتقول إن والدها طويل الجسم معتدل القوام ، وسيم جميل :

شـمريّ نمـاة للعـز صـقر شـامخ البيـت مـن سـراة الأديـم

شـيظميّ مهـذب ذي فضـول أبطحـيّ مثـل القنـاة و سـيم [2]

و بعد فيمكن القول أن المرأة العربية أكثرت من الصفات المعنوية للأب ، و لكنها كانت مقلة في الوصف الحسي الخلقي ، و ذلك أن العرب كانت تحب أن تمدح مدحا نفسيا معنويا، و ليس مدحا ماديا ، لذلك نجد قلة من الشاعرات من وصفت الأب وصفا خلقيا ، و قد ذكرت في هذا البحث بعض من النماذج الشعرية التي و قفت عليها .

الخاتمة

بعد الحديث عن صورة الأب في شعر المرأة العربية في العصرين الجاهلي و الإسلامي ، يمكن القول أن البنت أحبت والدها حبا شديدا ، ملك عليها جميع جوارحها ، لذلك ليس عجبا أن تطلق لسانها في التغني بصفات والدها الخلقية و الخلقية ، و تتأنق في و صف هذه الصورة ، لتخلق منه نموذجا فريدا متميزا عن أقرانه ، و لكن المرأة الشاعرة أكثرت من الصفات المعنوية ، لأنها محط الفخر و موضع الاهتمام ، و ميدان التنافس بين العرب . و كانت مقلة في الوصف الخلقي الحسي ، لأنها تناسب النساء أكثر من الرجال ، و المجال هناك أوسع و أرحب ، لكنها تعرضت للصفات التي توحي بعراقة الأصل و صحة النسب .

ثم إنني لم أجد في النصوص الشعرية للمرأة العربية في العصرين شعرا تسيئ فيه البنت لأبيها ، أو تتبرم من سوء معاملته ، بل كان جل الشواهد الشعرية تدل على حب عظيم للأب ، ملك على البنت فؤادها و جوانحها ، فأطلقت لسانها معبرة عما يدور في خلدها ، و يعانق شغاف قلبها ، مزهوة بأبيها مباهية به .

نتائج البحث :

1- أحبت البنت والدها حبا فريدا ليس مثله حب ، وهذا أورثها خوفا وقلقا دائمين . و ذلك خوفا من فقده الذي يجعلها و حيدة بلا حماية .

2- أكثرت الشاعرة العربية من الفخر بالأب ، و خلقت منه نموذجا فريدا لا يشبهه أحد ، وكان تركيزها على صفة الكرم و الشجاعة و الجرأة و الفصاحة و البيان ، و حسن الخلق و لين المعاملة و الغيرة على الحرمات ...إلخ .

(1) السابق ، ص 116.

(2) نفسه ، ص 113.

3- لم تتعرض المرأة لصفات والدها الخلقية كثيرا بل كانت مقلة وربما لأن ذلك كان يتعارض مع القيم السائدة في المجتمع ، فالأب له هيبة ورهبة وجلال ، مما يجعل المرأة العربية تعزف عن الوصف المادي إلى الوصف المعنوي . لكننا قد نجد ذلك في شعرها الذي قالته عن الابن مثلا .

4- لم أجد شعرا – فيما جمعت من نصوص – تتأفف أو تتبرم المرأة فيه من العيش مع والدها لسوء خلق ، أو طبع ، أو معاملة ، بل كان جل الشعر مدحا له ، و حبا فيه ، و زهوا بالعيش في كنفه و لكننا نجد ذلك جليا في شعرها الذي قالته عن الزوج و الابن .

5- هناك من الآباء من طلب من بناته أن يرثينه وهو حي ، مثل عبد المطلب بن هاشم ، فرثينه رثاء جميلا وعددن مناقبه وصفاته .

6- ركزت البنت في وصف أبيها و صفا ماديا على اللون الأبيض ، و ذلك للدلالة على صحة النسب ، و عراقة الأصل ، و البراءة من كل هجنة .

7- إن ماتقدم يؤكد على طبيعة العلاقة التي كانت تربط بين الأب وابنته في العصر الجاهلي والإسلامي مما يعني أن الأب كان يعز ويحب ويقدر ابنته عكس ماجاء في دراسات عديدٍ من المستشرقين والمغرضين عن هذه العلاقة .

المصادر والمراجع

الأخيلية ، ليلى . (د ت) *الديوان* . تحقيق : خليل إبراهيم العطية وجليل العطية .(د ط) وزارة الثقافة والإرشاد .

الأصفهاني ، (1410 هـ ، 1990 م) .*الأغاني* .(الطبعة الثامنة) .دار الثقافة . بيروت . لبنان.

البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدا لله الجعفي.(1987- 1407) *صحيح البخاري الجامع الصحيح المختصر*. تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا. (الطبعة الثالثة). دار ابن كثير. بيروت.

البصري ، علي بن أبي الفرج بن الحسن صدر الدين. أبو الحسن . *الحماسة البصرية* .تحقيق: مختار الدين أحمد .(د . ط) عالم الكتب – بيروت.

البغدادي ،محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي.(1405 هـ - 1985 م) . *المنمق في أخبار قريش*. تحقيق: خورشيد أحمد فاروق . الطبعة: الأولى . عالم الكتب. بيروت .

البَلَاذُري . أحمد بن يحيى بن جابر بن داود .(1417 هـ - 1996 م). *أنساب الأشراف* . تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي .(الطبعة: الأولى). دار الفكر – بيروت .

الجاحظ ،عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء. الليثي، أبو عثمان.(1423 هـ) . *البيان والتبيين* .(د.ط) . بيروت . دار ومكتبة الهلال.(د ت).

الجاحظ ،عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء. الليثي. أبو عثمان. (1424 هـ) . *الحيوان* . الطبعة: الثانية . بيروت . دار الكتب العلمية –

الحوفي ، أحمد محمد (1362 هـ - 1963 م) . *المرأة في الشعر الجاهلي* . (الطبعة الثانية) . .دار الفكر العربي .

الحيالي. ليلى محمد ناظم .(1989). *ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام* . رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الطابعة. كلية الآداب– الجامعة المستنصرية.

ابن الريب، مالك. (د.ت). الديوان. تحقيق: نوري حمودي القيسي. مجلة معهد المخطوطات العربية. المجلد الخامس عشر. (ج1).

السنيكي . زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا . زين الدين أبو يحيى المصري الشافعي، (1426 هـ – 2005 م). *منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى «تحفة الباري»*. تحقيق وتعليق: سليمان بن دريع العازمي . مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، (الطبعة الأولى) .الرياض . المملكة العربية السعودية .

السيوطي ،عبد الرحمن بن أبي بكر. جلال الدين ،(1386هـ –1966 م). *شرح شواهد المغني* . وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان . مذيل وتعليقات: الشيخ محمد محمود ابن التلاميد التركزي الشنقيطي . (د ط). لجنة التراث العربي .

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. (1974م). *الإتقان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د.ط). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشمشاطي ، أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي . *الأنوار ومحاسن الأشعار* . [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع] .

شيخو ، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب (1913 م) . *مجاني الأدب في حدائق العرب*.(د ط) . مطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت .

ابن عبد ربه ، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي . (1404 هـ) . *العقد الفريد* . (الطبعة: الأولى). دار الكتب العلمية بيروت 18– القرشي .أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (د ت). *جمهرة أشعار العرب* .تحقيق علي محمد البجاوي .(د ط). نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

ماردیني ، رغداء (1422 هـ – 2002 م) . *شواعر الجاهلية* – دراسة نقدية .(الطبعة الأولى) . دار الفكر . دمشق ، سورية.

مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري. *صحيح مسلم* . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د ط) دار إحياء التراث العربي. بيروت.

المرزباني ، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى (1415 هـ – 1995 م) . *أشعار النساء*.حققه وقدم له: الدكتور سامي مكي العاني. هلال ناجي . (الطبعة: الأولى) . دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.

يموت ، بشير (1353 هـ ، 1934 م) . *شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام*.(الطبعة الأولى)المطبعة الوطنية . بيروت ، لبنان .

اليوسف ، يوسف .(1980م) *مقالات في الشعر الجاهلي*. الطبعة الثانية، دار الحقائق. الأدب والبلاغة – مرقم آليا.